دور الأنشودة في مجال تعليمية العربية للأجانب المبتدئين

أ. محمود بدوي
جامعة منتوري قسنطينة 1

الملخـــص:

للأنشودة قدرة عجيبة في بعث جو باسم في القسم، يشعر المـــتعلم بالســـعادة والاسترخاء والدفء، فاتحا شهيته، تدريجيا، للتواصل والتفاعل مع أقرانه. وبعد هـــذه التصفية النفسية، تقوم الأنشودة بتغذية مخيلته، وتنشيط إبداعيته، بشتى المعاني والصـــور والأخيلة والإيحاءات التي تستلهمها من كلماتها، وصوت المنشد، وإيقاعـــات لحنـــه. فهدف هذا المقال هو التعريف بهذه الأداة التربـــويـــة الفـــذة التـــي طالـــما غابت عن تعليم العربية للأجانب، وتبـــيان كيف تجعل هذا المتعلم، بمساعدة تقنيات وأنشطة إبداعية، متخيلا ومبدعا.

ABSTRACT

The aim of this paper is to shed light on the role of peans in stimulating creativity in the teaching of Arabic, as a foreign language, for beginners.

I will attempt to show Arabic teachers, working in this field, how two Peans, have stimulated the imagination of a group of Tanzanian learners and helped them to recall exciting childhood remembrances or imagine situations that they have illustrated through funny drawings.

مقدمـــــة:

لطالما افتقد المتعلم الأجنبي في قسم العربية حس التخيل والإبداعية. ذلـــك أن الخطاب المتداول عادة في هذه الأقسام التقليدية، مصطنع، خال من عناصـــر الحيـــاة والإثارة، مركز على الـــوظـــيـــفـــة التعاملـــــية (TRANSACTIONNELLE) لـــلـــتـــواصـــل (تـــوفيـــر معلومات حول النظام اللغوي)، متناسيا أهم وظائفه التفاعلية (INTERACTIONNELLES) الأخرى: كوظيـــفة اللعب، والتسلية، والممازحـــة، والغناء، والتعبير عن الانفعالات، والتخيل ...

ولا ريب في أن هذا الوضع التعلمي، المنافي للوضع الاكتسابي، كما أبرز ذلك كراشن (KRACHEN)[1]، ينأى بالمتعلم عن التفاعل الحي، وما يقتضيه مـــن تلقائيـــة ومفاجأة وطرافة وإبداعية، مولدا لديه شعورا متزايدا بالرتابة والضجر، كما لاحظـــت ذلك جورتريد مســـكوفيتز (GERTRUDE MOSKOWITZ): "إن الكـــثير مـــن المؤسسات التعليمية التي تعتمد الاستظهار والطرق التقليدية في التعلم والتعليم تجهـــل الخيال، ولذا فهي جد كئيبة لأنها ليست متخيلة"[2]. وفي هذا يقول أيضا جـــان بـــير روبير(JEAN PIERRE ROBERT): "في تعليمية اللغات لم تكن للإبداعية خلال أمد

---

[1]– ينص كراشن ضمن فرضيته الشهيرة "فرضية الإكتساب والتعلم (the acquition – learning hypothesis)" أنه في الوضع الإكتسابي تتسرب إلينا اللغة بصورة لا شعورية، في إطار التواصل الحقيقي، كما هو الشأن بالنسبة للطفل "يلتقطها"، فهو غير واع بإكتسابها ولكنه واع بالتواصل بينما، في الوضع التعلمي، حيث يكون الإنشغال بالتحليل النظام الغوي، يتم التحصيل شعوريا، بمعزل عن التفاعل الحي. لمزيد من الإطلاع حول هذه الفرضية.

krashen, s.d. and tracy d. terrell, the natural approach. Languge acquisition in the classrom. Pergamon press, oxford, 1985.p(26).

[2] -Moskowitz, g. the journal of lmagination in languge learning. Connecting the powers of music to ,the learning of languages. Volume IV. 1997.

طويل أية مكانة. فكانت الطرائق المصممة للمبتدئين محصورة في تمارين التكـــرار أو في تمارين لا تحتمل إلا إجابة واحدة صحيحة"[1].

ولمحاربة هذا الوضع اللإنساني، الخانق للقدرات الإبداعيـــة، ظهـــرت المقاربـــة (humaniste L'approche) التي تدعو إلى الاهتمام بالبعد الوجداني للمتعلم، وإيقاظ انفعالاته، وخياله، بواسطة الأناشيد، وذلك حتى يغدو خياله "إنسانيا.

يستثمره في التعبير عن ذاته، وعن المعاني الطريفة التي لم تسمع أو تقرأ قط مـــن قبل، وليس في تحليل النظام اللغوي، مثل آلة صماء، فاقدة الإحساس.

فلا ريب أن للأنشودة قوة إيحائية تميزها عن سائر الأجناس الكلامية الأخرى.

ومن بين أهم العوامل التي يمكن أن تفسر هذه القوة الإيحائية العجيبة للأنشودة، تعدد قنوات الخطاب الإنشادي، حيث يستخدم هذا الخطاب الثـــري الفـــذ قنـــاتين تعبيريتين: لغوية، وشبه لغوية. فالقناة اللغوية تعمل بواسطة ثلاثة أنظمة (النظام اللغوي والشعري والثقافي)، ويشكل صوت المنشد أو المنشدة بجرسه المتميز ولحنه وما يتضمن من نبرة وإيقاع... العناصر شبه اللغوية.

وفيما يلي، سنحاول أن نبين، من خلال درسين أجريناهما مع طلبة تترانيين في إطار بحثنا حول دور الأنشودة في تنشيط التفاعل اللفظي في مجـــال تعليميـــة العربيـــة للأجانب المبتدئين، كيف يمكن أن تكون الأنشودة مصدر إلهام يغذي مخيلة المـــتعلم، ويحفزه على إنتاج خطاب أصيل وطريف.

درس 01.

الموضـــــوع: أنشودة: عليك مني سلام يا أرض أجدادي.

[1]-Robert, j p. dictionnaire de didactique du français langue etrangére, et seconde. Paris 2003. P60.

عليك مني السلام	يا أرض أجدادي
ففيك طاب المقام	وطاب إنشادي
أحببت فيك السهر	وبهجة النادي
أحببت ضوء القمر	والكوكب الهادي
والليل لما إعتكر	والنهر والوادي

المهمـــة: عبر من خلال رسم عن ذكرى من ذكريات طفولتـــك، تســـترجعها خلال استماعك لهذه الأنشودة.

الإجـــراءات:

المرحلـــة الأولى: يستمع الطلبة للأنشودة وبعد شرح كلماتها يتمرنـــون علـــى إنشادها.

المرحلـــة الثانيـــة: يقوم كل طالب إلى السبورة فيرسم الذكرى التي استرجعها.

المرحلة الثالثـــة: يقوم الطلبة أولا بتأويل الرسم، طارحين بين الفينة والأخـــرى أسئلة استضاحية. وفي النهاية يتدخل صاحب الرسم لتوفير بعض الشروح الإضافية.

تعليـــق: لقد أثارت الأنشودة وأنغامها الرائعة في نفوس الطلبة ذكريات فكهة.

وفيما يلي نورد بعد النماذج من الرسوم المنجزة.

رســـم 01: أسرة مجتمعة ليلا حول المدفئة. الأولاد ملتفون حول الجدة يصـــغون بشغف إلى حكاياتها والأب يطالع جريدته في ركن الغرفة والأم تشوي كســـتناء. وقـــد استرجع الطالب هذه الذكرى بواسطة الكلمات: أجدادي، السهر، النادي، اللّيل.

رســـم 02: أطفال يلعبون بالكرة ليلا في ضوء القمر ومجموعـــة مـــن الرجـــال ساهرين يتسامرون بقربه. بعثت الكلمات: في ضوء القمر، الســـهر، اللّيـــل، في نفـــس الطالب هذه الذكرى.

رســـم 03: طفل مع والده في الريف. الطفل يلعب والأب مع كلبه وهو مصوب بندقيته إلى سرب من الطيور.

رســـم 04: جماعة من الرجال ينقذون صبيا على وشك الغرق في النهر. ذكرت كلمة النهر الطالب بهذه الحادثة التي وقعت له عندما كان في الثامنة من عمره.

درس 02:

الموضـــــوع: أنشودة: موطني

الجلال والجمال والسناء والبهاء

في رباك

الحياة والنجـــــاة والهناء

والرجـــاء في هـــواك

هـــــل أراك ... هـــــل أراك

سالمـــــا منعمـــــــــا

وغانمـــــا مكرمـــــــا

هـــــل أراك فـــــي عـــــلاك

تبلـــغ السمـــاك

المهمـــــة: عبر من خلال رسم عما توحي به إليك هذه الأنشودة

الإجـــراءات:

المرحلـــة الأولى: يستمع الطلبة للأنشودة وبعد شرح كلماتها يتمرنـــون علـــى إنشادها.

المرحلـــة الثانيـــة: يقوم كل طالب إلى السبورة فيرسم مـــا أوحـــت لـــه بـــه الأنشودة.

المرحلة الثالثـــة: يقوم الطلبة أولا بتأويل الرسم، طارحين بين الفينة والأخـــرى أسئلة استيضاحية. وفي النهاية يتدخل صاحب الرسم لتوفير بعض الشروح الإضافية.

تعليـــق: أوحت هذه الأنشودة بصور متباينة أنتجتها مخيلات الطلبة.

وفيما يلي نورد بعد النماذج من الرسوم المنجزة.

رسم 01: نشاهد دجاجة تتسلق جبل كيمانجارو الشهير في طترانيـــا، وخلفهـــا ديك. وقد تخيل الطالب الجبل انطلاقا من كلمة الجلال والبيت الآتي: هل أراك في علاك تبلغ السماك. وقد عبر عن ذلك في إطار فكاهي قصد التميز وتسلية زملائه ونيل إعجابهم بطرافة خياله.

رسم 02: يمثل ملعبا فيه مجموعة من الرياضيين وعلى أكتافهم لاعب بيده الـــيمنى الكأس الإفريقية وباليسرى العلم الطتراني. وقد استلهم الطالب هذا المشهد من الأبيات:

هـــل أراك ... هـــل أراك

سالمـــا منعمـــا وغانما مكرمـــا

هل أراك فـــي عـــلاك تبلـــغ

السماك

رسم 03: **رجل** يجلس على ربوة وهو يكتب شعرا، مستلهما أفكاره من الطبيعـــة الغناء التي تحيط به. وقد أوحت للطالب بهذا المشهد كلمتا: الجمال ورباك.

رسم 04: يمثل مترلا ريفيا تحيط به أشجار ومروجا تكسوها أزهار مختلفة الألوان. وعن بعد نشاهد قطيعا يرعى. وقد استلهم الطالب هذا المشهد الريفي الهادئ من كلمة: الهناء الواردة في الأنشودة. فقد أراد أن يرسم هذه الحياة الهنيئة المطمئنة.

استنتاجـــات:

إذا تأملنا إنتاجات الطلبة، أمكننا استنتاج مايلي:

عبر الطلبة عن مواقف غير جاهزة، كما جرت العادة، وإنما أبدعتها مخـــيلاتهم خلال تفاعلاتهم مع كلمات وأنغام الأنشودة التي ساعدتهم على خلقها أو استرجاعها. فقد جاء في تعريف الإبداعية في تعليمية اللغات بأنها: "قدرة التلميذ على ابتكار وخلق ملفوظات في أطر موضوعاتية يكتشفها بنفسه"[1]. وتقول أيضا جورتريد مســـكوفيتز (GERTRUDE MOSKOWITZ) في هذا الصدد: "إن اللغة المستعملة في الأنشـــطة الإنسانية يخلقها الطلبة الذين هم بصدد التعبير عما يريدون قوله، دالين بذلك على أن خيالهم يشتغل"[2].

نلاحظ أن المواقف التي رسمها الطلبة تعكس رؤى متباينة، وتخـــيلات أصـــيلة متباعدة، أو تجارب حقيقية معيشة، تتسم بالكثير من الطرافة والجدة والتنوع، بعيدة عن الفكر التكراري والمتقارب المعهود في الأقسام التقليدية، حيث لاتخيل ولا إبداع. فقـــد نص علماء البيداغوجيا أن الأنشطة الإبداعية: أصيلة وفريدة ومختلفة. وجاء في معجـــم تعليمية اللغة الفرنسية كلغة أجنبية،

[1]- Glossaire de Français Langue Etrangère. Créativité, P 108.

[2]- The journal of imagination in language learning and teaching. Humanistic imagination. Soul food for the language classroom. Vol 2 199.

تحت مصطلح "إبداعية": "وتعليم لغة يقتصر على ممارسة تكرارية له أدنى الحظوظ في إعطاء التلميذ كفاءة إبداعية"[1].

استثمر الطلب في رسم جبل كليمانجاو حسه الفكاهي حيث نشاهد من جهة هذا الطود الشهير في جلاله وعلوه وعظمته ومن جهة أخرى مخلوقين في غاية التفاهة والصغر يتسلقانه: ديك ودجاجة. فاهتز الطلبة قهقهة لطرافة الموقف، واجدين في ذلك تسلية ولعبة شيقة تذكي تفاعلهم وتحفزهم على التخيل والابتكار.

وفي هذا يقول ولتر إيلياسن (Walter Eliason) : "يبدو أن الخيال يتطلب منا الجمع بين أشياء هي في العادة مختلفة."[2] فالفكاهة، كما هو معلوم، من أبرز مظاهر الإبداعية. فقد كانت الأداة الفنية المفضلة لدى الجاحظ. يقول كولستر (MAURICE KOLESTER): في هذا الصدد "الفكاهة هي المجال الوحيد للنشاط الإبداعي حيث ينتج على درجة عالية من التعقيد استجابة نفسية شاملة ومتميزة"[3]. ويعتبر بارسوكس (Barsouks) الفكاهة: "جوهر الفكر التعددي (...) تشجع ظهور الأفكار الجديدة، وتعددية الرؤى، كما تتيح الخروج من ضيق المرجعيات إلى استكشاف المجهول، مشجعة بذلك الإبداعية والتجديد" [2]

[1] - Glossaire de Français Langue Etrangère. Créativité, P 108.

[3] - Koestler, M. Laugh while learning another language. Techniques that are functional and funny. English Teaching Forum XXVI n° 2 April, 1988. P20.

[1] - Barsouks, j. l. EUROPEN JOURNAL. Vol 141, issue 5 october 1996 p505.

وتجدر الإشارة إلى أن الفكاهة استراتيجية تعلمية عاطفية (strategie d'apprentissage affective) يستخدمها المتعلم لجعل تعلمه " سهلا وممتعا" كما نص أكسفورد (OXFORD)[3].

استخدم رسام الجبل استراتيجية المفاجأة لاستثارة ضحك زملائه وإعجابهم بطرافته. فلما سألوه ماهذا؟ أجابهم: دجاجة تمارس هوايتها وهي تسلق الجبال. فباغتهم بما لم يكونوا يتوقعونه حيث أن الإنسان هو الذي يقوم عادة بهذا الفعل. ثم لما سألوه ثانية: وهذا؟ فأجابهم: ديك يحميها من السقوط. فتلقوا ردا أوفر مباغتة وطرافة، قهقهوا له طويلا.

فالمفاجأة إحدى المكونات الأساسية للفكاهة، يحدثها البون الشاسع بين ماهو منتظر ومتوقع، وما هو حاصل فعلا. وتتفاوت درجاتها من المفاجأة البسيطة إلى الدهشة فالصدمة... يقول برومفيت (BRUMFIT) في مقال له حول الإبداعية في تعليمية اللغات، جاء تحت عنوان : " ليس هدفي أن أتواصل ولكن أن أصدم أصدم أصدم"[1] وقد: أولت المقاربة الإنسانية أهمية قصوى للمفاجأة التي تعتبرها روح الإبداعية والخطاب الأصيل، إذ بفضلها يجد المتعلم نفسه مشدوها منبهرا، في فضاء كله إثارة وجاذبية واكتشاف، يخلصه من رتابة وجمود القسم اللغوي التقليدي الشبيه بزنزانة سجن.

تقول ألين مالي (Alan Malay) بشأن رسائل الأغنية التي يمكن تطبيقها على الأنشودة: " إنها تنفذ إلى أعماق الأوتار الانفعالية الجمالية"[2] . فطلبتنا قد تأثروا بما

---

[2] - oxford, r… language learning straltegies : what every teacher should know. Boston : heinle and heinle 1990 p08.

[1] - Holden, S. Creativity in Language Teaching. The British Council. Milan Conference. 1988. P 17.

[2] - Music and Song . p 3

سمعوه، فأنتجوا بدورهم خطابا مؤثرا، ومواقف جد أصيلة، عبروا عنها من خلال رسوم أمتعتهم بطرافتها. فكل طالب قد أثر في زميله، وتأثر هو به في الوقت نفسه. وهذا التأثير المتبادل هو أحد خصائص التفاعل الحي، والإبداعي على وجه الخصوص، كما نص روبير فيون(Robert Vion)، معرفا التفاعل اللفظي بأنه عملية : " تشمل كل فعل مشترك تفاعلي أو صراعي يستدعي حضور طرفين أو أكثر"[1]

فبفضل هذا التقاسم لتجاربهم، والانفتاح المتبادل على جوانب حياتهم الخاصة، وجد الطلبة أنفسهم متكفلين بخطابهم الذي أتى مبدعا، حاملا بصمات التميز والأصالة، ومنغمسين في مهامهم البيداغوجية.

خاتمـــــــة:

إن دخول الأنشودة قسم اللغة العربية يمكن المتعلم الأجنبي من اكتشاف خطاب جديد، دائم التغير كالحرباء، طريفا مفاجئا، فكها تارة، متسربلا بالغموض والضبابية تارة أخرى، خارجا عن نسق العادة، يصدم العادي والمألوف، ينقله من حدود قاعة الدرس الضيقة إلى أفاق الإبداع الرحبة، فيجد هذا المتعلم نفسه، باستمرار، مشدوها منبهرا، في جو سحري، يلهب في كل لحظة إحساسه وفضوله، مثله في ذلك مثل نيوتن أمام تفاحته، أو طفل صغير: " تاركا بصره يتيه متعجبا مسلوبا"[2] كما وصفه فكتور هيجو، إذ لا ننسى أن التعجب والحيرة مفتاح المعرفة والإبداع، كما نبه إلى ذلك سقراط : " العالم ينكشف للإنسان في حال التعجب".

[1] -Vion, r.la communication verbale. Analyse des interactions. Hachette, 2000. P17.

[2] -La littérature expliquée. P 320.

المصادر والمراجع:

1) Krashen, S.D. and Tracy D. Terrell, The Natural Approach. Language Acquisition in the classroom. Pergamon press, oxford, 1985.

2) Moskowitz, G. The Journal of Imagination in Language learning and teaching. Connecting the Powers of Music to the learning of languages. volume IV. 1997.

3) Robert, J P. Dictionnaire de Didactique du Français Langue Etrangère, et Seconde. Paris 2003.

4) Glossaire de Français Langue Etrangère. http://insuf-fle.hautetfort.com/media/01/01/1911778191.pdf

5) The Journal of the Imagination in Language learning and teaching. Humanistic imagination. Soul food for the language classroom. vol 2 1994. http://www.njcu.edu/cill/vol2/moskowitz.html

6) Eliason, w. The Right to be Creative. The Journal of the Imagination. Vol 1,1993.
http://www.njcu.edu/cill/vol1/eliason.html

7) Koestler, M. Laugh while learning another language. Techniques that are functional and funny. English Teaching Forum XXVI n° 2 April, 1988.

8) Barsouks, J.L. European Journal. vol 14, Issue 5 October 1996.

9) Oxford, R.. Langue Learning Straltegies : what every teacher should know . Boston : Heinle and Heinle 1990 .

10) Holden, S. Creativity in Language Teaching. The British Council. Milan Conference. 1988.

11) Vion, R. La communication verbale. Analyse des Interactions. Hachette, 2000.

12) Victor Hugo l'Art d'être grand-père . La Littérature Expliquée. M, Des Granges. Hatier Paris 1959.